www.kurdistannet.org
22-3-2002 2:05

كوردستان نيُت تەنها بابەتى كوردى بلاوەكانەوە، بەڵام لەبەرگرنگى بابەتەكەو رێخۆشكردن بۆ دوبارە وروژاندنەوەى
روداوى كوشتنى فاتيمه له ولاتى سويد بەدەستى باوكى ، بەباشمانزانى ئەم بابەتە بلاوبكەينەوە..... كوردستان نيّت

قتل الشرف في المجتمع الكردي

محمد يوسف الحريري- لندن

تنتشر ظاهرة قتل الشرف بنسب متفاوتة في جميع المجتمعات الاسلامية واحياناً غير اسلامية، هذه حقيقة لا يجادل فيها الأثنان. وتشير أكثر من مصدر بأن هذه الظاهرة كانت تمارس حتى في الجمهوريات الاسلامية التابعة للإتحاد السوفيتي السابق، فعندما كانت الفتيات تتأثرن بمفهوم الفيمنيزم الماركسي للتحرر، وتبدأن بالتحلل من كافة القيود الاجتماعية والدينية بشقيها الإيجابي والسلبي، هنا كنَّ يتناقضن مع اعتقادات قومهم ويظهرنَّ انفسهنَّ كأعوان للأجنبي المحتل لأراضيهم، وأعراضهم او هكذا كنَّ يبدون لهم.
لا شك أن هذه الظاهرة منتشرة أكثر في بعض المجتمعات المتخلفة نسبياً، ولكن هذا لا ينفي حدوثها في أرقى مجتمعات اسلامية. ولو نأتي إلى كردستان بأجزائه المختلفة نرى أن هذه الظاهرة نادرة الحدوث في كردستان إيران رغم أنها لا ترتقى ثقافيا ولا حضارياً إلى مستوى كردستان العراق، وتأخذ كردستان تركيا نصيب الأسد من هذه الظاهرة، ثم تأتي كردستان العراق في المرتبة الثانية رغم تطورها النوعي مقارنة مع باقي أجزاء كردستان.
لقد أثارت مقتل الفتاة الكردية من كردستان تركيا فاطمة ساهيندال ردود افعال متقاربة دون الغوص في الظاهرة نفسها، بل اكتفت كل جهة بإدانتها فقط، وأتخذها البعض ذريعة للتهجم على خصومهم الآيديولوجيين.
فالصحافة السويدية والاعلام الأسكندنافي عموماً اتخذوها ذريعة للتهجم على القيم الاسلامية تماشيا مع تداعيات (11 سبتمبر 2001) وأخذت تدعوا إلى عملية اندماج سريع للمهاجرين في المجتمعات الغربية، ومنع المهاجرين من ممارسة الأعراف والقيم الدينية الخاصة بمجتمعاتهم الأصلية. وما يجب ذكره هنا أن الاعلام السويدي كان له النصيب الأكبر في دفع الامور إلى النهاية المأساوية لفاطمة، فبعد تمرد هذه الفتاة على جميع الاعراف والقيم الدينية لعائلته بأتخاذها لشاب سويدي مسيحي شريكاً غير شرعي لها وردود افعال عائلتها التي لم تبارك أبداً هذا الزواج، شجعت الصحافة السويدية فاطمة على تحدي عائلتها اكثر فأكثر والتي أدخلت والدها وأخيها السجن، وبدلاً من تهدئة الأمور أخذت هذا الاعلام الفاسد تظهر فاطمة وكأنها (جان دارك) جديدة أرسلتها العناية الإلهية لتحرير ليس فقط الكرديات بل جميع فتيات المجتمعات الاسلامية. وانخدعت فاطمة بهذا الفخ وأخذت تظهر على شاشات تلفزيون وتهاجم بلا هوادة القيم الدينية لمجتمات الاسلامية، بل كانت تهين عائلتها علناً على الشاشة امعاناً في التحدي.
وبالنسبة للمجتمع الكردي أنا لا املك استفتاء علمي في هذا الشأن، ولكن ما عدا قلة من اليساريين المتحررين من كل القيود الارضية والسماوية وبعض غلاة العلمانية كانت هناك استنكار وإدانة شديدة لمسلك البنت المنحرف والمتمردة ليست على عائلتها بل على دينها ومجتمعها بدعوى التقدمية وانخداعها بمفاهيم اجتماعية الغربية التي انتجت هذه المجتمعات المنحلة أخلاقياً والتي لا يتمناها مثالاً يقتدى بها الا عند من الغى مفردة الشرف في قاموسه أو به مسٌ من الجنون!
وبأعتقادي الشخصي أن كلا الجانبين(فاطمة وعائلتها) تحملان وزر ما حدث بالتساوي. فمسؤولية فاطمة تتلخص كما قلنا في التحدي التي اظهرتها والتي كانت تغذيها الاعلام السويدي الذي بدلا من معالجة الامر بحكمة كانت تدفع فاطمة إلى مزيد من التشدد والاستفزاز لكبرياء وكرامة هذه العائلة المسكينة والتي قد تكون وصلت للسويد من قريتها مباشرة دون ان تعيش في المدينة اللهم الا المرور بها في رحلتها إلى المهجر! ومسؤولية عائلة فاطمة تأتي من جهة الاهمال الشديد لتربية وتنشئة فاطمة وتركها فريسة سهلة لإطروحات الغرب الاجتماعية المنحرفة. وللأسف أن هذا الإهمال أصبحت ظاهرة عامة لا يؤخذ مأخذ الجد الا عندما تحدث ما حدث لعائلة فاطمة، حين لا ينفع الندم. لم يكن مطلوبا من هذه العائلة ان تجعل من بنتها فقيهة ومتقية فهذا فوق طاقة اناس شبه اميين، ولكن

ليس من المعقول بالمرة ان لا تعرف فاطمة او لا تهتم بالحدود بين الزواج الشرعي والمعاشرة غير شرعية مع رجل من دون أي سند شرعي، بإعتقادي أن هذا الامر من ابسط الاولويات في المنظومة القيمية الاسلامية.
وبالنسبة للمواقف السياسية فقد ادانت كافة الاحزاب القومية والعلمانية اليسارية على الخصوص الحادث ولكن بدرجات متفاوتة. فكان هم الأحزاب الحاكمة أن تدرأ تهمة التخلف عن المجتمع الكردي ومحاولة اظهار القيم الاسلامية وكأنها لا تخص الشعب الكردي بل هي وافدة غريبة اليه!! هذا في الخارج ولكن الامر يختلف في الداخل، فلم تحاول هذه الاحزاب الحاكمة توريط نفسها في مشكلة مع الرأي العام الكردي المتمسك في أكثريتها بثوابته العقيدية الاسلامية.
كان مواقف اليساريين وقلة من العلمانيين المتطرفين من أسوأ مواقف وأكثرها تطرفاً وتخاذلاً في هذا الموضوع. فقد رأت هذه القوى اللادينية الملحدة في هذا الموضوع فرصة لمهاجمة الإسلام وقيمه العليا كعادتهم في كل مناسبة. والغريب أن هذه القوى التي كانت تلعن الرأسمالية في الماضي ليلاً ونهاراً، اصبحت اليوم تدعوا وبكل صفاقة إلى دمج المجتمعات الاسلامية المهاجرة في المجتمعات الغربية قسراً، بل اتهمت الغرب بالعنصرية لأنها تراعي في تعاملها مع هذه المجتمعات المهاجرة خصوصياتها الثقافية والحضارية والدينية، ولا تعاملهم على قدم المساواة مع الغربيين! وكان البعض منهم أكثر تحديداً عندما دعوا إلى حظر الحجاب والتعليم الديني وغيرها من الامور الشخصية! وكأن هؤلاء العلمانيين الغلاة لا يكفيهم ما يقومون به من انتهاكات لحقوق الانسان في بلدانهم الاصلية، لذا أخذوا يدعون الانظمة الغربية الديمقراطية إلى نفس الممارسات الهمجية وكأن الغرب ومؤسساتها من الهشاشة بحيث يستمعون إلى هذه النصائح وارشادات الشيطانية.
ثم ماذا يبقى من الغرب لتفخر به لو فرض الاندماج القسري على المجتمعات المغايرة عنها حضارياً وثقافياً على الطريقة الماوية الصينية؟! انني لا ادافع عن مجموع تقاليد وعادات الشعوب الاسلامية لأنني اعرف ان هناك سلبيات كثيرة تندرج تحت هذه العادات والتقاليد، ولا اؤيد مسلك أبي فاطمة في قتلها بل ادينه بشدة، ولكني ادين مسلك فاطمة المنحرف اكثر من ابيها. انني اعتقد جازماً بأن ما حدث لوالد فاطمة وعائلتها من الهزة المعنوية وجرح في صميم كرامتهم وكبريائهم داخل جاليتهم لو حدث لأي شخص اخر ذو المروءة ويمتلك حظاً من الدين والاخلاق لكان ردة فعله تطابق ردة فعل والد فاطمة، حتى لدى بعض أدعياء التقدم، لو لم يؤدي ردود افعالهم إلى القتل من المؤكد انها تؤدي إلى الطرد والمقاطعة، رغم ما يدعون حين تتعلق الموضوع بغيرهم!أنا أدعوا الذين لم يتجردوا بعد – ما عدا اليسار الكردي المتطرف- من كل المعاني النبيلة أن يتصوروا أنفسهم للحظة في موقع والد فاطمة، حينئذٍ تتهاوى كل اطروحات الزائفة والكلام المنمق التي لا تتناسب مع اصول حضارتنا ودينا وقيمنا!!
أننا نرفض رفضاً قاطعاً ان تحارب اليسار الكردي الملحد -وبالمناسبة اعتقد أن كاتبا مصرياً مرموقاً كان على الخطأ حين قال بأن اليسار المصري من أكثر اليساريي العالم تفاهة وانحطاطاً ومحاربةً لثوابت الشعب المصري المسلم، فلو اطلع على مسلك اليسار الكردي لكان من المؤكد يغير رأيه هذه!- الشرف نفسه بدعوى محاربتها لجرائم الشرف. انني اعترف بأن كثير من جرائم الشرف ترتكب من اجل حماقة وقضايا لا دخل للشرف فيها بالمرة. فهناك فتيات يقتلن لمجرد شبهة وجود علاقة عاطفية لها مع احد ما، أو تقتل لضبط رسالة حب ساذجة، أو تقتل لمجرد عنجهية ذكورية مثلاً في احدى مرات تقدم شاب لأبنة عمها وهو متمسك بها إلى أبعد حدود، وحين طلب أب البنت مهراً كبيراً من ابن أخيه اجاب الشاب لو طلبت أكثر من ذلك فأنا مستعد له، هنا استنتج الأب وجود علاقة حب بين ابن أخيه وبنته، وأضمر ذلك في قلبه، ثم قام بقتل ابنته البريئة بكل برودة الدم!! هل هذه الجريمة يستحق ان يسمى بجرائم الشرف؟! أم هي جريمة خرقاء وحمقاء لا دخل للشرف فيها بالمرة.
لذا يجب أن ننتبه وقبل أن نردد اتهامات منظومه القيم لغربية ضد قيمنا ودينا وحضارتنا كالببغاء يجب ان ننتبه لما ترمي اليه هذه المنظومة التي تريد لمجتمعاتنا صورة طبق الاصل لمجتمعات الغرب المنحلة، وتريد أن تتحول مجتمعاتنا إلى مسرح للبورنوغرافية تطفح بصور الشذوذ الجنسي بين الرجال GAY والنساء LESBIAN وتنتشر على جوانبه المخدرات والخمر والقمار والفاحشة وكل الرذائل الاخرى.
2002-3-19